ISSN: 2090 – 0449 Online
Type of License: CC BY-NC-ND
DOAJ API documentation: 359c88a5cecf4f7faa1c2f538c431346

الإنتاج الزراعي في المغرب الأوسط من خلال كتاب المعيار للونشريسي

عبد الغني حروز

أستاذ مساعد – قسم التاريخ
جامعة المسيلة
الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

كان سكان المغرب الأوسط في فترة العصر الوسيط يعتمدون اعتمادًا كبيرًا على الفلاحة، التي ارتبطت بالأرض والماء والتقنيات والمجهود البشري، وتختلف التقنيات المتبعة من منطقة إلى أخرى، وربما داخل المنطقة الواحدة، لأن المهارات أيضًا تختلف كما هو الشأن أيضًا في طبيعة الأرض وعطائها ودرجة غنى تربتها وقابلية مناخها لهذا النوع الزراعي أو ذاك. وقد دخل الفقه الإسلامي بكل ثقله من أجل حل المشكلات الزراعية والاروائية التي تكاد لا تنتهي في بلاد المغرب الإسلامي، وعمل هذا الفقه على تناول كل المسائل الطارئة والمتعلقة بالأرض والحرث والعمال ورب الأرض، ومن بينها الإنتاج الزراعي في المغرب الأوسط، وقد حمل كتاب «المعيار» الكثير من هذه المسائل، ومن ثَمَّ فإن المعلومات التي تنقلها النوازل والإجابات التي قدمها الفقهاء في هذا الكتاب تسمح بالتعرف على الكثير من مظاهر النشاط الفلاحي. ومما لا شك فيه؛ أن وضعية الأرض، وطبيعة التنظيمات الفقهية التي تؤطرها، له تأثير على النشاطات الفلاحية، كما أن طريقة توزيع الملكية للعقار الفلاحي له كذلك انعكاس لا محال على توزيع إنتاج هذا النشاط والثروة العائدة من خلاله. لقد اتسمت الفلاحة في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، بنوع من الازدهار، وهذا ما يشير إليه معظم الجغرافيين من خلال وصفهم للحالة الزراعية في المنطقة، ومما عزز هذه الحقيقة هو حصول نوع من الاكتفاء الذاتي في المنتجات الزراعية، بل كان يوجه الفائض في غالب الأحيان إلى التصدير نحو كل من الأندلس وبلاد السودان وغيرها من المناطق، إلا أن هذه الحالة لم تحض بالاستمرارية في المرحلة محل الدراسة نظراً لحدوث حالات كان الإنتاج الفلاحي يعرف فيها تقلصًا لأسباب بشرية وطبيعية مختلفة، إضافة إلى الأزمات السياسية، ومع ذلك ظل النشاط الفلاحي محل اهتمام سكان المغرب الأوسط.

بيانات المقال:

تاريخ استلام البحث: ٢٤ أكتوبر ٢٠١٣
تاريخ قبول النشر: ١٥ ديسمبر ٢٠١٣

كلمات مفتاحية:

المذهب الشيعي، الدولة العبيدية، المغرب الإسلامي، كتامة البربرية، الزيريين

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

عبد الغني حروز. "الإنتاج الزراعي في المغرب الأوسط من خلال كتاب المعيار للونشريسي".- دورية كان التاريخية.- العدد التاسع والعشرون؛ سبتمبر ٢٠١٥. ص ١٢٦ – ١٣١.

مُقَدِّمَة

كان سكان المغرب الأوسط[١] في فترة العصر الوسيط يعتمدون اعتمادا كبيرا على الفلاحة، التي ارتبطت بالأرض والماء والتقنيات والمجهود البشري، وتختلف التقنيات المتبعة من منطقة إلى أخرى، وربما داخل المنطقة الواحدة، لأن المهارات أيضا تختلف كما هو الشأن أيضًا في طبيعة الأرض وعطائها ودرجة غنى تربتها وقابلية مناخها لهذا النوع الزراعي أو ذاك.

وقد دخل الفقه الإسلامي بكل ثقله من أجل حل المشكلات الزراعية و الاروائية التي تكاد لا تنتهي في بلاد المغرب الإسلامي، وعمل هذا الفقه على تناول كل المسائل الطارئة والمتعلقة بالأرض والحرث والعمال ورب الأرض،[٢] ومن بينها الإنتاج الزراعي في المغرب الأوسط، وقد حمل كتاب المعيار المعرب خاصة منه الجزء

الخامس كاملاً وقسم من الجزء السادس الذي تناول نوازل المعاوضات والبيوع والكثير من هذه المسائل، ومن ثَمَّ فإن المعلومات التي تنقلها النوازل والإجابات التي قدمها الفقهاء في هذا الكتاب تسمح بالتعرف على الكثير من مظاهر النشاط الفلاحي خاصةً فيما يتعلق بالمنتجات الزراعية.

ومما لا شك فيه؛ أن التنوع الطبيعي والإقليمي الذي يتمتع به المغرب الأوسط، انعكس إيجابًا على مردوده الفلاحي النباتي منه والحيواني على مر العصور التاريخية، وهذا ما أظهرته معظم أسواقه التي عرفت رواج أنواع مختلفة مما جادت به أراضيه من فواكه وخضر، أو مما جادت به فصائله الحيوانية الممتازة كمًا ونوعًا. وقبل الحديث عن الإنتاج الزراعي في المغرب الأوسط رأينا أن نورد أهم مناطق الإنتاج به وهي:

أولاً: أهم المدن الزراعية في المغرب الأوسط

١/١- تاهرت:[٣]

كانت تنتشر في ربوع تاهرت العديد من البساتين، واشتهرت بفواكهها الجيدة، وكان السفرجل بها يشهد له بالحسن طعمًا ورائحة، ومنتوجها ينافس منتوجات المناطق الأخرى.[٤] وكان في مدينة تاهرت ناس وجمل من البرابر لهم تجارات وبضائع وأسواق عامرة وبأرضها مزارع وضياع جمة، وبها من نتاج البراذين والخيل كل شيء حسن، وبها البقر والغنم كثير جدًا، وكذلك العسل والسمن وسائر غلاتها كثيرة، وبها مياه متدفقة وعيون جارية تدخل أكثر الديار، ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار تحمل ضروبًا من الفواكه الحسنة.[٥]

٢/١- القلعة:[٦]

تعتبر الفلاحة من العوامل التي ساعدت على الاستقرار في القلعة، التي تعتبر عامل جذب، حيث كانت القلعة وأحوازها مزدهرة فلاحيًا[٧] مثلاً في زراعة الحنطة والأشجار المثمرة والشعير إضافةً إلى تربية الحيوانات،[٨] دون أن ننسى القمح الذي كان يحفظ لسنة أو سنتين دون أن يفسد، بسبب كثرة غلتها منه وهذا حسب ما قاله الإدريسي: "... كانت بكثرة غلتها تكفي لسنة أو سنتين دون أن تفسد".[٩]

وكان الحماديون يقومون بطمر المحصول الزائد عن حاجتهم من القمح و هذا ما تؤكده الحفريات التي عثر عليها لوسيان قولفين[١٠] في قلعة بني حماد، وهي عبارة عن مطامير كثيرة محفورة في صحن دار قريبة من قصر السلام[١١] كما أنها كانت تنتج العديد من الفواكه والخضروات مثل الكروم والزيتون والبقوليات، إضافةً نبات الفوليون الحراني الذي يشربه أهل المنطقة ليتحصنوا به من ضرر العقارب.[١٢] كما أنها كانت مشتهرة بتربية الغنم والبقر والإبل والنحل وحتى البغال.

٣/١- بجاية:[١٣]

وصف الشريف الإدريسي المدينة: «وأما مدينة بجاية في ذاتها فإنها عمرت بخراب القلعة التي بناها حماد بن بلكين وهي التي تنسب دولة بني حماد إليها والقلعة كانت في وقتها وقبل عمارة بجاية دار الملك لبني حماد وفيها كانت ذخائرهم مدخرة وجميع أموالهم مختزنة ودار أسلحتهم والحنطة تختزن وبها من الفواكه المأكولة والنعم المنتخبة ما يلحقه الإنسان بالثمن اليسير ولحومها كثيرة وبلادها وجميع ما ينضاف إليها تصلح فيها السوائم والدواب لأنها بلاد زرع وخصب وفلاحتهم إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت فأهلها أبد الدهر شباع».[١٤]

٤/١- تلمسان:[١٥]

اشتهرت مدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية التي ظلت محل إشادة بعض الجغرافيين الذين وصفوا تنوعها الطبيعي، وذكروا بعض ما اشتهرت به من منتجات فلاحية، فالبكري (ت.٤٨٧هـ/١٠٩٤م) يصفها بأنها «محاطة بأشجار الجوز» ، وإلى هذا أشار صاحب «الاستبصار» الذي عاش في القرن السادس الهجري بأنها «كثيرة الخصب والثمار، والجوز بها كثير»، وهذا تأكيد على أن إنتاج الجوز بها كان وفيرًا، وظلت البلاد محافظة على هذا المستوى الإنتاجي إلى غاية عصر الدولة الزيانية، وهو ما أكد عليه القلقشندي حين ذكر أن بها «شجر الجوز على كثرة». وقد رتبها «الإدريسي» من حيث الأهمية الاقتصادية والاجتماعية كثالث مدينة في كل من بلاد المغرب بعد مدينتي أغمات وفاس، فذكر أن غلاتها ومزارعها كثيرة، وفواكهها جمة، وخيراتها شاملة، ولحومها شحمية سمينة.

وذكر «يحي ابن خلدون» أن تلمسان كانت «تحفها الخمائل والألفاف، والحدائق الغلب بما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين من الفواكه والرمان، والتين، والزيتون»، وعن الأرض التي تتوسطها تلمسان يضيف قائلاً أنها: "مُنْجِبَة للحيوان والنبات، كريمة الفلح زاكية الإصابة، فربما انتهت في الزوج الواحد بملاتة منها إلى أربعمائة مد كبير... من البر، سوى الشعير والبقلاءس"، ومن خلال إشارة «عبد الرحمان ابن خلدون» إلى معظم المنتوجات الفلاحية التي نالها الغلاء، من جراء الحصار الذي فرضه السلطان المريني يوسف بن يعقوب (٦٨٥-٧٠٦هـ/١٢٨٦-١٣٠٦م)[١٦] على تلمسان والتي أظهر سكانها أثناء هذه المحنة بسالة وشجاعة وصبر، يمكن أن نستشف أن سهول هذه المدينة كانت تزرع فيها شتى أنواع الخضراوات والفواكه، وكانت هذه الأخيرة تمون أسواقها المحلية، وجملة الخضروات والفواكه التي أشار إليها هي كالتالي: الفول، الكرنب، الخس، اللفت، القثاء، الفقوس، الخيار، البطيخ، التين، الإجاص.[١٧]

٥/١- وهران:

كانت مدينة وهران معروفة بغناها الفلاحي عند الجغرافيين القدامى، فابن حوقل ذكر: «أن غلتها من القمح والشعير، وبها جميع الفواكه»، وأشار البكري أن «مياهها سايحة وبها بساتين»، وذكر الإدريسي كذلك أن «بها فواكه ممكنة... والعسل بها موجود وكذلك السمن والزبد والبقر والغنم بها رخيصة بالثمن اليسير».

٦/١- مستغانم:[١٨]

كما عرفت بادية «مستغانم» على عهد البكري بزراعة القطن، وقد ساهمت وفرة المياه وخصوبة التربة بها على وفرة هذا المحصول. وظل الشريط الساحلي وحوض «شلف» أخصب جهات هذه البلاد، كما سجل ذلك الإدريسي في النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وقد لفت نظره كثرة المزارع وامتدادها إلى جانب تعدد المراكز الحضرية، وقال عن ميناء "تنس" إن به حطًا وإقلاعًا وأنه منطقة فواكه، وكانت «تنس» المدينة واقعة على منطقة خصبة معروفة بوفرة الإنتاج الفلاحي بها، وظلت على عهد الدولة الزيانية من المدن الهامة اقتصادياً، وكان إنتاجها يغذي سوقها الداخلي على الدوام بما جادت به أراضيها .[١٩]

٧/١- طبنة:[٢٠]

يذكر الإدريسي: كانت طبنة كثيرة البساتين والحنطة والشعير وجميع الحبوب فيها غزيرة كثيرة.[٢١] وهي مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع، والقطن، والحنطة، والشعير، وعليها سور تراب، وبها أخلاط من الناس، وبها صنائع وتجارات، ولأهلها تصرف في ضروب من التجارات، والتمر وسائر الفواكه بها كثير.[٢٢]

٨/١- المسيلة:[٢٣]

يذكر ابن حوقل مسيلة فيشير إلى أن من غلات أهلها الحنطة والشعير.

ثانيًا: نماذج من المحاصيل الزراعية في المغرب الأوسط

ومما تجدر ملاحظته؛ أن ما ذُكر سابقًا هو إشارات عابرة تدل على وفرة الخيرات في بلاد المغرب الأوسط، وهذه المدن التي ذكرناها هي صورة واضحة ودالة عن غيرها من القرى والمدن الأخرى التي لم نذكرها، وقد كانت بساتين ومزارع هذه المدن تحتوي على المحاصيل محاصيل ومنتجات وردت في كتاب المعيار للونشريسي في شكل نوازل أشارت لبعض منتجات بلاد المغرب عامةً والمغرب الأوسط على وجه الخصوص.

١/٢- القمح والشعير:

اشتهر المغرب الأوسط بزراعتهما ودليل ذلك ما ورد في المعيار فيما يتعلق بنازلة تحت عنوان: "معاوضة قمح بدنانير"[٢٤] التي فيها دلالة واضحة على وجود هذا المنتج رغم إهمال الرحالة ذكر ذلك، ولأن زراعتهما أمرًا مفروغًا منه بدافع ضرورة العيش، لذا نجد هذا المنتوج كان يزرع في مدن المغرب الأوسط فقد ذكر ابن حوقل بونة: "أن القمح بها والشعير في أكثر أوقاتها كما لا قدر له"، وذكر الإدريسي أن أهل وهران: "غلاتهم من القمح والشعير"، وأفاد الإدريسي في الكشف عن حقول القمح والشعير فذكر أن بجاية لها بواد ومزارع والحنطة والشعير بها موجودان كثيران، وكان زراعة سكان جزائر بني مزغنة الحنطة والشعير وقد عبر عن وفرة القمح والشعير في مناطق السهول المرتفعة حين ذكر قسنطينة، وأن حنطتها تختزن في المطامير مائة عام. كما أن الحنطة تختزن في قلعة بني حماد "فيبقى العام والعامين لا يدخلها الفساد ولا يعتريها التغيير.[٢٥]

٢/٢- البقول:

ذكر الونشريسي نازلة تخص البقول تحت عنوان: "حكم بيع اللفت والبصل في أحواضه"، وكانت الإجابة عليها الجواز،[٢٦] نستشف من النازلة وجود زراعة هذا الصنف من المنتجات وهذا ما يؤكد ذكر الإدريسي مسيلة وأشار إلى أن لأهلها بقولا وهذا دليل على أن هذه المزروعات كانت تعم أرجاء المغرب الأوسط خاصةً المعروفة منها: اللفت، والجزر، والفجل، والثوم، والبصل، والكرات، والكرنب، والقرنبيط، والسلق، والخس، وغيرها.

وهذا ما يؤكده ابن خلدون حين يذكر الفول، والكرنب، والخس، واللفت، والقثاء، والفقوس، وغيرها عند إشارته إلى حصار المرينيين لمدينة تلمسان و يبدوا أن الرحالة كانوا يكتفون عند ذكرها بذكر الجنان أو المزرعة أو البستان هروبًا من تعدادها.[٢٧] كما وردت إشارات عديدة تدل دلالة واضحة عن وجود زراعة الثمار بكل أصنافها من خلال العديد من نوازل منها: (بيع الثمار قبل بدو صلاحها)، [٢٨] (تعدي السلطان على الثمر المبيع هل يعد جائحة).[٢٩]

٣/٢- الجوز:

كان في جبل تلمسان شجر الجوز، وكانت مستغانم بها الجوز على كثرة، وكذلك سطيف بها الجوز الكثيرة، ومنها ما يحمل إلى سائر البلاد، ويصف الإدريسي جوزها بأنه: "بالغ الطيب حسن ويباع بها رخيصًا"، واشتهرت نقاوس بالجوز الذي كان على كثرته، كما كانت مدينة تبسة مشتهرة به ولاسيما الجوز فإن المثل يضرب بجلالته هناك ويكبره بطيبه، كما توجد إشارات إلى وجود الجوز في بجاية وجيجل.

٤/٢- الرمان:

كان الرمان من منتوجات المشتهرة في المغرب الأوسط، فكانت مدينة تلمسان تشتهر برمانها.

٥/٢- المشمش:

اشتهرت مدينة مستغانم بزراعته فمشمشها يقارب في الحسن مشمش دمشق.

٦/٢- السفرجل:

اشتهر المغرب الأوسط بإنتاج السفرجل ذو الجودة العالية وأشاد بذلك الكثير من الرحالة في مدينة تنس بها من السفرجل المعتق ملا أزال أحكيه لحسنه ونعومته وحلاوته وطيب رائحته، وكذلك سفرجل المسيلة المعنق الذي يحمل إلى القيروان وأصله من تنس، ومثلها كانت مدينة شرشال التي كان فيها سفرجل كبير الجرم ذو أعناق كأعناق القرع الصغار وهو من الطرائف غريب في ذاته.[٣٠]

٧/٢- التفاح:

عرفت بلاد المغرب الأوسط زراعة التفاح، فاشتهرت جيجل بإنتاجه منه.

٨/٢-حب الملوك:

اشتهرت مدينة قسنطينة بإنتاجه، وقد ذكره ابن حوقل حين أشار إلى أن بها جميع الفواكه كاللوز والجرز والكروم، ويطلق الجرز في المشرق على هذه الفاكهة.

٩/٢- الزيتون:

أشار الونشريسي للزيتون في نازلتين الأولى جاءت تحت عنوان: (من اشترى زيتونة ليقطع أعودها فتوانى في القطع حتى أثمر الثمر)، والثانية (الاستيجار على جمع الزيتون بجزء منه)،[٣١] وهذا دلالة علة توفر هذا المنتج في المغرب الأوسط. كما وردت إشارات إلى وجود الزيت في تاهرت فذكر أن الإمام عبد الرحمن بن رستم اشترى زيتًا ووزعه على الفقراء، وهذه دلالة واضحة على انتشار زراعة الزيتون بها، و كذلك الأمر في تلمسان في جبل مديونة (وادي الزيتون)، وكانت مدينة مقرة زيتها أطيب الزيوت، وكانت مدينة بسكرة كثيرة النخيل والزيتون، وتركز الإنتاج الأهم منه في جبال كتامة التي اشتهرت بزراعته.[٣٢]

١٠/٢- التمر:

اهتم سكان المغرب الأوسط بزراعة النخيل وجني تمره، وتعتبر مدينة بسكرة من أشهر مواطنه فهي تعرف ببلدان النخيل وأن أكثر ثمارها التمر. وكانت مدينة ورجلان- ورقلة- كذلك مدينة نخيل، فقد ملأ أبو صالح جنون بيت الشيخ أبي نوح عند فراره من المعز الفاطمي إلى السقف تمرًا. كما اشتهرت مدينة طبنة بزراعة النخيل.

١١/٢- العنب:

برزت زراعة الكروم في بلاد المغرب الأوسط بشكل جلي واهتم سكانها بها فكانت واسعة الانتشار، ففي بني واربفن كروم كثيرة ومعظمها مطل على واد الشلف، وتمتد حتى مدينة شرشال وقلعة هوارة، كما اشتهرت تلمسان فالدائر بالبلد كله مغروس بالكروم وأنواع الأشجار، وكانت جيجل مدينة كثيرة العنب في الغدير وجبل زلدوي.[٣٣]

١٢/٢- القطن:

انتقلت زراعته إلى بلاد المغرب عن طريق المشرق، وقد اشتهرت مدينتي طبنة والمسيلة بمزارع القطن، فكان أهل المسيلة معروفون بجود القطن عندهم، وكذلك مستغانم يبذر في أرضها القطن فيجود.

١٣/٢- الكتان:

كانت زراعته واسعة في بلاد المغرب الأوسط، فمدينة بونة كان يزرع بها الكتان، كما أن أهل طبنة يزرعونه، وكانت منطقة متيجة أكثر النواحي كتانا ومناه يحمل إلى مناطق أخرى، وقد ورد أن مدينة مقرة مشتهرة بزراعته فأهلها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير.

١٤/٢- السمسم:

تركزت زراعته على وادي الشلف، وهذا دليل على إمكانية زراعته في مناطق أخرى من بلاد المغرب الأوسط.[٣٤]

خاتمة

من خلال ما سبق نستنتج:

- كانت بلاد المغرب الأوسط مزدهرة في المجال الزراعي، فانتشرت البساتين والمزارع، وظهر هذا من خلال كتب النوازل ومن خلال إشارات الرحالة المسلمين، دلالة على وفرة الإنتاج به، وهذا ما يؤكده ابن أبي زرع بقوله في سنة ٣٨٠هـ: "كان الزرع لا يوجد مَنْ يشتريه لكثرته، وكان الحراثون يتركونه..... ولا يحصدونه".
- تضافرت عدة عوامل في التنوع الطبيعي والإقليمي الذي يتمتع به المغرب الأوسط، والذي انعكس إيجابًا على مردوده الفلاحي النباتي منه والحيواني على مر العصور التاريخية.
- برزت عدة مدن زراعية في المغرب الأوسط كتاهرت وبجاية والقلعة وغيرهم، والتي كان لها الدور الكبير في رواج الإنتاج الزراعي فكانت بمثابة الوسيط بين مختف مدن المغرب الأوسط وبقية مدن المغرب الإسلامي.
- تشكل النوازل المتعلقة بالفلاحة في كتاب المعيار مصدرًا مهما يمكِّن الباحث من تحديد الإنتاج الزراعي، وخصوصًا ما يتعلق بعلاقات الإنتاج، وتمكنه من الوقوف على الجانب الاقتصادي لهذه النوازل، الذي يمكننا في الوقوف على أسلوب توسيع قاعدة الاستثمار والإنتاج، وتنمية رأس المال الذي اتبعته المجتمعات الإسلامية في المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة.

الهَوامِشُ:

(١) **المغرب الأوسط**: أول مَنْ استعمل مصطلح المغرب الأوسط هو الجغرافي الأندلسي الشهير المعروف باسم البكري (٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، وذلك في توضيحه لحدود فضاء المغرب الواسع الممتدة من برقة إلى طنجة، ثم قسمه إلى ثلاث مناطق هي: افريقية وقاعدتها القيروان، والمغرب الأوسط وقاعدته تلمسان، والمغرب الأقصى الذي يمتد من غرب تلمسان إلى البحر المحيط. أما عبد الرحمن بن خلدون فيؤكد على أن قاعدة المغرب الأوسط هي تلمسان، ثم يعدد لنا بعض مدنه الساحلية كهنين والجزائر وبجاية وبونة آخرها، ومن مدن الجنوب أشير والمسيلة والزاب وقاعدته بسكرة، وجبل أوراس وبسكرة فهو لم يستند في تحديده للمجال الجغرافي للمغرب الأوسط على الحالة السياسية، التي كان يعيشها المغرب الإسلامي فترة القرن الثامن هجري، بل اعتمد على تجمعات القبائل البربرية داخل هذا الكيان الجغرافي. للمزيد انظر: مزدور سمية: **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (٥٨٨هـ - ٩٢٧هـ /١١٩٢م / ١٥٢٠م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ والآثار جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩م، ص٢٥، ٢٩.

(٢) بلبشير عمر: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغرب الأوسط والأقصى من القرن (٦ - ٩هـ/ ١٢- ١٥م) من خلال كتاب المعيار للونشريسي**، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار وهران، ٢٠١٠- ٢٠١١م، ص١٥٥، ١٧٧.

(٣) **تيهرت**: مدينة كبيرة من مدن المغرب الأوسط، كانت عاصمة بني رستم تأسست سنة (١٦٠هـ/٧٧٦م)، كانت فيما سلف مدينتين كبيرتين، إحداهما قديمة والأخرى محدثة، فالقديمة منها ذات سور على قمة جبل ليس بالعالي، وبها خيرات المزارع والمياه المتدفقة، وهي في سفح الجبل يدعى جزول ولها ثلاثة أبواب باب الصفا وباب المنازل وباب المطاحن، وتتميز بقساوة المناخ، وتهرت الحديثة في قبلها لواتة وهوارة وغربها زواغة ومطماطة وزناتة ومكناسة وفي شرقها حصن هو تاهرت القديمة؛ **الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ١٩٥٤م، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٢٨.

(٤) بلبشير عمر: المرجع السابق، ص١٨٠، ١٨١.

(٥) محمد بن عبد المنعم الحميري: **الروض المطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان ، ط٢، مطبعة هيدلبرغ بيروت، ١٩٨٤، ص١٢٦.

(٦) **القلعة**: بنيت قلعة بني حماد أو قلعة أبي الطويل كما يسميها البكري في سنة (٣٩٨هـ/١٠٠٧م) على منحدر وعر، على الحدود الشمالية لسهول الحضنة على مسافة (٣٦) كلم من المسيلة- حاليًا تقع قلعة بني حماد شمال شرق مدينة المسيلة. وهي مدينة اختطها حماد بن بلكين (ت.٤١٩هـ/١٠٢٨م)، لقول عبد الوهاب النويري (ت. ٧٣٢ هـ/١٣٣١م): "وهي على جبل عجيسة البرنسية"، وهو جبل عظيم من جبال كيانة. في حين أطلق عبد الرحمن بن خلدون (ت.٨٠٨هـ/١٤٠٥م) على الجبل الذي اختطت فيه مدينة القلعة (٣٩٨هـ/١٠٠٧م) اسم كتامة. غير أن هذا الاسم هو اسم لقبيلة والأصح هو كيانة وهذا ما تؤكده فيما بعد المصادر الجغرافية والتاريخية الأخرى ويحيط بقلعة بني حماد من ناحية الشمال قمة تاقربوست الحصينة، التي ذكرها ياقوت الحموي (ت. ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) في وصفه لموقع القلعة: "قلعة حماد مدينة متوسطة بين أكم وأقران، ولها قلعة عظيمة على قمة جبل تسمى تاقربوست... "أما من ناحية الشرق فهي تشرف على وادي فرج، ويحضنها من الناحية الغربية جبل الغورين. وتطل من ناحية الجنوب على شط الحضنة وسهوله الفسيحة لقول أبو عبد الله الشريف الإدريسي (٥٨٧هـ/١١٥٢م): "... وأمامها في جهة الجنوب أرض سهلة متصلة بالانفراج، لا يرى الناظر فيها جبلاً عاليًا ولا شرفًا مطلاً، إلا على بعد منها، وعلى مسيرة أربع مراحل يرى جبالاً لا تبين". انظر: عبد الغني حروز: **الحياة العلمية في قلعة بني حماد (٤٠٨-٤٦١هـ/١٠١٧-١٠٧٠م)** مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر، ٢٠١٠ /٢٠١١م، ص ٢٢.

(٧) الإدريسي: "**نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣م. ص١١٧.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٠٩، ١١٧.

(9) Rchid Bouriuiba: Cites disparues, Tahart, Sedrata, Achir kal'a des Bani hamad, Arts et culture ministre de l'information, Alger, 1982, P.110.

(١٠)**لوسيان قولفين:** أستاذ باحث في الآثار الإسلامية في جامعة الجزائر، كان قد أجرى حفريات في سنوات ١٩٥٦،١٩٥٢،١٩٥١م وأخيرًا من سنة ١٩٦٠-١٩٦٢م قام بحفريات بقصر السلام وقصر المنار ونشر كتابين عن القلعة بني حماد، الأول تناول فيه المغرب الأوسط في عهد الزيريين صدر سنة ١٩٥٧م، والثاني قدم "أبحاث أثرية بقلعة بني حماد" صدر سنة ١٩٦٥م؛ أنيسة بركات: **محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ١٩٩٥، ص،٢٨١، ٢٨٢.

(١١)رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٧٧م. ص١٣٠.

(١٢)المرجع نفسه: ص١٣٥.

(١٣)**بجاية:** تقع على ساحل البحر المتوسط، وهي من أهم مدن المغرب الأوسط يقول الإدريسي: "مدينة بجاية في وقتنا هذا هي مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد"، وكانت عاصمة لدولة بني حماد الصنهاجية، واشتهرت بنشاطها الاقتصادي، فيذكر الإدريسي أن أهلها مياسير تجار وبها الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد كما أن لها بوادي ومزارع تتوفر فيها المحاصيل الزراعية والفاكهة؛ الإدريسي: المصدر السابق، ص ٩٦ ؛ كمال السيد أبو مصطفى: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، ١٩٩٩، ص٢٥.

(١٤)الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص٢٦١.

(١٥)**تلمسان:** بكسرتين فسكون مركبة من تلم بمعنى تجمع وسان بمعنى اثنين أي تجمع بين التل والصحراء وهي في سفح جبل بني ورنيد المار جنوبًا، ويسمى قابلها بالصخرتين، وينحدر منه نهر سطفسيف المار بشرقها ليلتقي بنهر يسر ثم بنهر تافنا، وينحدر منه ساقية النصراني وتلمسان مدينتان أحدهما قديمة تعرف بالأقادير أسسها بنو يفرن وهم أوسع بطون زناتة قبل الإسلام، والثانية أجادير كما سميت تاقرارت باسم معسكر في العهد الإدريسي، وقد تأسست مدينة تاجررت تلمسان الجديدة من قبل يوسف بن تاشفين سنة (٤٧٣هـ/١٠٨١م)، وعرفت الحركة الفكرية بها نشاطًا في عهد المرابطين، فأصبحت تلمسان مقرًا لولايتهم في المغرب الأوسط إذ شيدوا القصر وجعلوه مقرًا للتواصي وبنو المسجد الأعظم أو الجامع الكبير سنة (٥٣٠هـ/ ١١٣٦م)، وأصبحت تلمسان حاضرة من حواضر المغرب الإسلامي. وعقب استيلاء عبد المؤمن بن علي على تلمسان (٥٣٤هـ/١١٣٩م)، تزايد التوسع العمراني بها موازاة مع تزايد النشاط التجاري من جهة وانتشار التعريب والثقافة الإسلامية من جهة أخرى، وحظيت تلمسان من جديد بعناية الموحدين لها حيث ابقوا عليها كمقر لولايتهم ومركز إشعاع، وأعطاها عبد المؤمن الأولوية كمركز ثقافي نظرًا لما آلت إليه المدينة من تطور وربما لكونها قريبة من مسقط رأسه بتاجرا. ومن الأعمال التي قام بها عبد المؤمن بن علي في مدينة تلمسان، تجديد المسجد الجامع وبناء قصر المشور سنة ٥٤٠هـ وعقد مجالس العلم ونشر التعليم الإجباري، فأصبحت تلمسان من حصون الموحدين الهامة لنشر دعوتهم في المغرب الأوسط. انظر: مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج٢، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص ٤٤٤-٤٤٥. عبد الحميد حاجيات، "**تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط**".

مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، ١٩٩٣، ص٣٧. ١٨٣. علي محمد محمد الصلابي، **صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي الجوهر الثمين في معرفة دولة المرابطين**، ط١، ج٤، مكتبة الإيمان بالمنصورة، أمام الجامع الأزهر، ص ٣١٢.

(١٦) بلبشير عمر: المرجع السابق، ص ١٧٧، ١٧٨.

(١٧) المرجع نفسه، ص١٧٩.

(١٨) **مستغانم:** هي بقرب واد الشلف على البحر، مدينة مسورة ذات عيون وبساتين وطواحين ماء، ويبذر في أرضها القطن فيجرد، انظر في التعريف بها: الإدريسي، المصدر نفسه:ج١/ ص٢٧١- انظر كذلك: بن عيسى عبد القادر المستغاني: **مستغانم وأحوازها عبر العصور: تاريخيًا وثقافيًا وفنيًا**، المطبعة العلوية بمستغانم، الجزائر، ط١-١٩٩٦م.

(١٩) بلبشير عمر: المرجع السابق، ص١٨٠.

(٢٠) **طبنة:** أعظم بلاد الزاب، بينها وبين المسيلة مرحلتان، وهي مدينة كبيرة، ولها حصن قديم عليه سور من حجر جليل ضخم متقن البناء من عمل الأول، ولها أرباض واسعة، وهي مما افتتح موسى بن نصير حين دخل بلاد إفريقية فبلغ سبيها عشرين ألف رأس، وتشق طبنة جداول الماء العذب، ولها بساتين كثيرة فيها النخل والثمار، ولها نهر يشق غابتها، وقد بني له صهريج كبير يقع فيه وتسقى منه جميع بساتينها وأرضها، ولم يكن من القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها. ومنها أبو مروان عبد الملك بن زيادة اللّه الطبني، كانت له رحلتان إلى المشرق، وأخذ العلم عن جماعة من أهل مكة ومصر والقيروان، وأخذ بالأندلس عن جماعة منهم القنازعي، الحميري: المصدر السابق، ص٣٨٧.

(٢١) جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين ٣-٤هـ /٩-١٠م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٢، ص٣٩.

(٢٢) الحميري: المصدر السابق، ص٣٨٧.

(٢٣) **المسيلة:** هي من مدن المغرب الأوسط يرجع تأسيسها إلى أوائل القرن العاشر ميلادي، وبالضبط (٣١٥هـ/٩٢٧م)، للمزيد انظر: **الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط**، المرجع السابق، ص ٧٤،٧٥ / أحمد أبو عبد الرزاق: **الأدب في عصر دولة بني حماد**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٩م، ص٦٦.

(٢٤) أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي: **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب**، الجزء٥، إشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية الرباط ودار الغرب الإسلامي بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٨٩.

(٢٥) جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص ٣٩ – ٤٠.

(٢٦) الونشريسي: المصدر السابق، ج٥، ص ٩٠.

(٢٧) جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص ٤٢.

(٢٨) الونشريسي: المصدر السابق، ج٥، ص، ٢٥، ٢٣٤.

(٢٩) المصدر نفسه، ص، ٢٥٤، ٢٥٥.

(٣٠) جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص، ٤٣ – ٤٥.

(٣١) الونشريسي: المصدر السابق، ج٦، ص، ٢٧٩، ٣٢٥.

(٣٢) جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص٤٦ – ٤٧.

(٣٣) المرجع نفسه، ص ٤٨.

(٣٤) المرجع نفسه، ص ٥٣، ٥٥.